وصبيانهم يَسبُّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له على طريقه صفين؛ فلما مر، صلى الله عليه وسلم بين الصفين، أخذوا يرشقُونه بالحجارة، فجعل لا يرفع رجلاً ولا يضعها إلا رَضَخوها بالحجارة، حتى دَميت رجلاه، وتخضبت نعلاه بالدماء. وكان كلما أزلَقَتْه الحجارة قعد إلى الأرض، فيأخذون بعضُديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، ولم يكن هنالك من يدفع عنه أذى أولئك السفهاء، سوى مولاه زيد ابن حارثة، رضى الله عنه؛ فقد جعل زيد يقيه بنفسه، ويتلقى عنه ما يستطيع أن يتلقى من الحجارة، حتى شُج فى رأسه شجاجًا كثيرة.

وهكذا جعل أولئك السفهاء يطاردونه ويتعقبونه، حتى استطاع أن يحتمى منهم بحائط بستان هنالك لرجلين من قريش، فانصرفوا عنه بعد ما أجهدوه وأنهكوه. فجلس، صلى الله عليه وسلم، تحت كَرْمة فى البستان يسترد أنفاسه، وقد بلغ منه الحزن كل مبلغ، واشتد به الأسى على هؤلاء القوم الذين جاء إليهم بالهدى والنور، فكاء جزاؤه منهم هذا اللقاء المنكر، وهذا الوداع المهين.

موقف حرج

وعزّت على رسول الله ﷺ نفسه، وشعر بوخز الهوان يَفْرِى